تطوير محتوى مناهج اللغة العربية في مجال مفاهيم العروبة والبُعد العربي

دار مسارات للدراسات والتطوير

تمهيد

اللغة عنصر أساسي ومكون ضروري من مكونات هوية الشعوب، وهي ضرورية للفرد لتحقيق تواصله بأفراد مجتمعه وربطه بتراثه، وتواصله مع الآخرين، واللغة ظاهرة اجتماعية إنسانية، ووسيلة التواصل والتعاون في المجالات الحياتية السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، بل أصبحت أساسًا لقيام الأحلاف السياسية في العصر الحديث: كفكرة الكومنولث البريطاني، ومنظمة الدول الناطقة بالفرنسية (الفرنكوفونية)، ومنظمة الدول الناطقة بالإسبانية، وجامعة الدول العربية، مما جعل اللغة محط أنظار واهتمام المتخصصين والباحثين في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا واللسانيات والاقتصاد والسياسة، حيث تعدُّ عنصرًا أساسيًّا لقيام القوميات، كما أنها تمثل ذاكرة الأمم وحافظة تراثها عبر الأزمان، ووعاءً للثقافة لأي شعب من الشعوب؛ ، فاللغة فكرُه ولسانه وفي الوقت نفسه انتماؤه، وحقيقته وهويته .

وقد حظيت لغتنا العربية بمكانة خاصة بين لغات العالم - جعلتها أعظم اللغات - فهي لغة القـرآن الكريم، ومحفوظة بحفظه، " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون " (سورة الحجر آية ٩)، وأضفى نزول القرآن الكريم عليها مكانة خاصة فقد نقلها من الحدود القبلية الضيقة لتصبح لغة الإسلام ولسان القرآن الكريم، كما قال الله - عز وجل: ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ × نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ × عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ × بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾، فأصبحت لغة عقيدة الإسلام ولغة خطابه إلى الإنسانية ، وفتح لها الإسلام سُبل الانتشار في شتى أنحاء الأرض، كما أغناها بالمعاني السامية والبيان الرائع، ومع انتشارها في مشارق الأرض ومغاربها، استطاع العرب - من خلالها - أن ينقلوا العلوم ويتبادلوا منتجات الثقافات، وشهد العالم عطاء العرب وتميزهم في الفقه والدين، والأدب وفنون اللغة شعرًا ونثرًا، وأصبحت العربية وعاءً لعلوم العرب وأداة للتواصل مع غيرهم، ووسيلة للتأثير في الشعوب بآدابها وشعرها ونثرها وأمثالها وحكمها وقصصها وسائر ألوانها وأدواتها الفنية، وصارت تمثل السياج الحضاري الذي يحافظ على الذات والهوية العربية، ويحقق الارتباط والتواصل والتماسك بين أبناء الأمة على امتداد الأجيال، واتساع المسافات.

وقد اهتم العرب باللغة منذ أمد بعيد ونبَّهوا إلى ضرورة المحافظة عليها، حتى إن منهم مَن ذهب إلى أن الكلام بغير العربية دون حاجة قد يورث النفاق، وقد أخرج الحاكم في المستدرج أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من يحسن أن يتكلم بالعربية فلا يتكلم بالعجمية فإنه يورث النفاق) . وتحفل كتب التراث العربي وكذلك المراجع المعاصرة التي تناولت فضل اللغة العربية بالعديد مما ذكره الأقدمون والمعاصرون عن فضلها ذكر محاسن العربية أيضًا رجال يعرفون غيرها من اللغات الراقية وشهدوا لها بأنها أقرب اللغات انطباقًا على النظم الطَّبْعية، ومن ذلك ما قال المستشرق "أرنست رينان" في كتابه "تاريخ اللغات السامية": (من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القوية، وتصل إلى درجة الكمال عند أمة من الرُّحل، تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها..) وقال المطران يوسف داود الموصلي: (من خواص اللغة العربية وفضائلها أنها أقرب سائر اللغات إلى قواعد المنطق، حيث إن عباراتها سلسلة طبيعية، يهون على الناطق صافي الفكر أن يعبر فيها عما يريد من دون تصنُّع وتكلف).

ولكن اللغة العربية اليوم تواجه تحديات تتهددها وتتهدد هويتنا العربية، ومن أبرز تلك التهديدات أن اللغات

الأخرى المسيطرة على الميدان التقني والاقتصادي تسعى نحو التهام اللغات المنافسة لها، وإضعافها وتشتيت أهلها، ويسعى أبناء تلك اللغات إلى السيطرة على مقدرات أبناء اللغة العربية وثرواتهم في إطار سعي الدول الكبرى لفرض سيطرتها على غيرها، حيث تجد في إضعاف اللغات الأم وسيلة للسيطرة الاقتصادية والسياسية والثقافية .

وقد تعرضت اللغة العربية لأشد أنواع الهجوم شراسة لكونها تُشكل المقوّم الرئيس للهوية لدى الإنسان العربي، واشتدت ضراوة الهجوم في فترة هيمنة الاستعمار على الوطن العربي الذي سعى لفرض لغته على أبناء الشعوب العربية، وأمثلة ذلك كثيرة ومنها هجمة الفرنسية على اللغة العربية في الجزائر والمغرب العربي ، وهجمة الإنجليزية على اللغة العربية في مصر والسودان، ولعل المقاومة الجزائرية كانت في جانب كبير منها تمردًا على محاولات الاستعمار الفرنسي القضاء على اللغة العربية وإحلال الفرنسية مكانها، وعلى الرغم من شراسة الهجوم على لغتنا العربية إلا أن هناك من سخرهم الله عز وجل للدفاع عن هذه اللغة المقدسة، وتمثَّل ذلك في دور الأزهر بمصر ومجامع اللغة العربية التي تحسست الخطر المحدق باللغة، وكذلك في بعض الهيئات الرسمية في الدول العربية التي وجهت اهتمامها للغة العربية عبر مراحل التعليم، وسعت لتطوير مناهجها وطرائق تدريسها، لتساير لتطورات العلمية لمواجهة متطلبات الحاضر والمستقبل في تعليم اللغة العربية وتعلمها والعمل على نشرها لمواجهة الإقبال المتزايد على تعلمها.

و سعت الدول العربية ومن بينها دول مكتب التربية العربي لدول الخليج لتطوير مناهج اللغة العربية بصفتها مكونًا رئيسًا في عملية تعليم اللغة العربية وتعلمها ؛ حرصًا على تمكين الناشئة من مهاراتها وآدابها وفنونها، وإكسابهم خبرات يستخدمونها في تعاملاتهم الحياتية، بما يسهم في تشكيل الهوية العربية وصياغتها، كما سعى المكتب ـ منذ تأسيسه ـ لخدمة اللغة العربية في أكثر من مجال، وأنشأ جهازًا متخصصًا لهذا الغرض، وهو المركز التربوي للغة العربية لدول الخليج الذي ركز اهتمامه على تطوير تعليم العربية في كافة المراحل التعليمية، وعمل على تطوير محتوى مناهج اللغة العربية لتصبح أكثر فعالية في مراعاة البُعد العربي، وغرس الهوية العربية في نفوس التلاميذ، وتنميتها في تلك المرحلة العمرية المهمة.

وفي ضوء ذلك تأتي هذه الدراسة استجابة لرغبة المركز التربوي للغة العربية لدول الخليج بالشارقة لتطوير محتوى مناهج اللغة العربية في مجال مفاهيم العروبة والبُعد العربي بالمرحلة الابتدائية (الصفوف ١-٦) بمدارس الدول الأعضاء بمكتب التربية العربي لدول الخليج، بالوقوف على مدى اهتمام كتب اللغة العربية في تلك الصفوف بالبعد العربي، ومن ثم العمل على إثرائها بمجموعة من النصوص الشعرية والقطع النثرية وغيرها، لتنمية الشعور العربي، وتعزيز الانتماء العربي لدى التلاميذ، والإسهام في توعيتهم بقضايا وطنهم العربي، وتأكيد هويتهم العربية، بحيث تصبح مصدر اعتزازهم وفخرهم .

وحتى تحقق هذه الدراسة أهدافها فقد تعرضت لجوانب متعددة في اللغة العربية نستعرضها باختصار فيما يأتي:

نشـــأة اللغـــــة

وقد حاول كثير من الباحثين تقصّي كيفية نشأة اللغة وتعددت مرئياتهم في هذا المجال وتبنوا نظريات مختلفة فمنهم من يرى أن اللغة توقيفية وقال بذلك أبو علي الفارسي وابن حزم وابن قدامة وأبو الحسن الأشعري و الآمدي وابن فارس ومعظم رجال الدين، ويستدلون بقوله تعالى : (وعلّم آدم الأسماء كلها) البقرة /٣١"، ومنهم من يرى أنها جاءت عن طريق المحاكاة وتعني أن يحاكي الإنسان ما حوله في الطبيعة من الظواهر ، وأول من أشار إلى ذلك ابن جنيّ في الخصائص ثم قال: ((وهذا عندي وجهٌ صالح ومذهب متقبل)) ، كما أن هناك من يقول بأن اللغة يتم تعلمها بالغريزة ويقصدون بذلك أن الله – سبحانه وتعالى – قد أنعم على الإنسان وزوده بآلة الكلام، وبجهاز للنطق، فهو حتمًا سينطق شاء أم أبى، وهناك من يرى أن اللغة مكتسبة يتم اكتسابها من الوسط الاجتماعي .

وعن اللغة العربية ينسب بعض العلماء الصفة العربية إلى مدينة (عربة) في بلاد تهامة، وقيل إنها نسبة إلى يعرب بين يشجب بن قحطان وهو أبو العرب العاربة، أول من تكلم العربية على صورتها المعروفة، وقيل أيضًا إنهم سموا كذلك نسبة إلى فصاحة لسانهم في الإعراب، وقد وردت تسمية (العربية منذ منتصف القرن التاسع قبل الميلاد، إذ وردت في نصوص شلمناصر الثالث الآشوري)، والأقوام الذين تكلموا العربية لا يحصي عددهم إلا الله: منهم

العرب البائدة: وهم قبائل طسم، وجديس، والعماليق، وأهل الحجر، وقوم هود وصالح عليهما السلام وغيرهم. وهؤلاء لم يصل لنا شيء من أخبارهم لا من قريب و بعيد، وهناك العرب العاربة : وهم القحطانيون ومن ينحدر منهم .. وأخيرا العرب المستعربة وهم أبناء إسماعيل عليه السلام وهم العدنانيون

ومما يجدر ذكره في هذا المجال أن الإمام الغزالي يرى أن الحديث عن نشأة اللغة فضول لا أصل له، وكأنه يدعو إلى الانصراف عنه إلى معالجة اللغة بوصفها حقيقة واقعية في وضعها الراهن، وهذا التوجه من الإمام الغزالي ينسجم تماماً مع توجه علم اللغة المعاصر الذي أخرج هذه القضية من نطاق مباحث علم اللغة، غير أنه من الثابت أن اللغة مثل الكائن في حاجة لرعايتها والعناية بها حتى تنمو وتترعرع ويكتب لها الازدهار والسيادة عن طريق أهلها، الذين إذا أهملوها فإنها تكون عرضة للضعف والاندثار.

المخاطر تتهدد اللغة

يلخص الدكتور بشر المخاطر التي تحدق باللغة العربية فيرى أن المتأمل للواقع الثقافي واللغوي يشاهد بوضوح كيف أن الإنجليزية والفرنسية تهاجمان العربية في عقر دارها، وأنه قد ظهرت بدعة مدارس اللغات التي يتزاحم الناس عليها، حيث التعليم فيها يتم بلغة أجنبية، مع تضييق الخناق على العربية في أرضها مما أدى إلى ازدواج الثقافة في المجتمع، فهناك ثقافة أجنبية في هذه المدارس، وهناك ثقافة قومية في المدارس الحكومية، وهما ثقافتان متعارضتان في الأعم الأغلب . كما أن مشروع الشرق الأوسط الجديد وقيام الحكومات العربية بإنشاء إذاعات وفضائيات إقليمية تبث باللهجات العامية المختلطة بعبارات وكلمات إنجليزية بالإضافة إلى تقلص حصة العربية الفصيحة لصالح العامية في وسائل الإعلام الوطنية بحجة تقريب المعرفة إلى فهم عامة الشعب، يعد ضربا من التغريب نشأ عنه ضعف في العربية وقادنا إلى ما يطلق عليه (التلوث اللغوي) الذي نرى آثاره في هذه اللافتات التي كتب فيها كلمات إنجليزية بحروف عربية مثل : شوبنج سنتر، جراند مول، دريم لاند، سوبر ماركت، سيتي ستارز .

ويتزايد الخطر على اللغة العربية مع تزايد الفجوة المعرفية والتقنية بين أبناء العربية وغيرهم من بلدان الغرب المتقدم، الذي يمتلك ناصية العلوم المتطورة والتقنية المعاصرة، حيث أصبحت اللغة الإنجليزية هي لغة الاتصالات العالمية الآن، وأصبح تعلمها ضرورة لمسايرة العصر، مما أدي إلي إهمال اللغة العربية وضعف العناية بإتقانها من قبل أبنائها، ولا تخفى آثار ذلك وخطورته في ضعف قيم الولاء والانتماء لدى أبناء الأمة العربية، وضعف تمسكهم بهويتهم الثقافية العربية والإسلامية وانصرافهم عن الاهتمام بقضايا وطنهم العربي التي تحتاج إلى فكرهم وجهودهم وتعاونهم المشترك.

ومما يزيد من خطورة المشكلات المحدقة باللغة العربية ما ذكره الدكتور الراجحي عندما رأى أن هناك بونًا شاسعًا بين "العربية" لغةً، وبينها في مستويات التعليم المختلفة، فالذي لا شك فيه أن "مخرجات تعليم العربية لا تعكس ما يبدو –مظهريًا– من جهود وطاقات مبذولة" حيث إننا ندور وندور في معركة وهمية عن الاختلاف حول مفاهيم "المناهج" و"طرق التدريس"، ونظل نكتب هنا وهناك عن تاريخها، وأنواعها، ونقدها مما لم يكن لنا فيه إسهام إلا النقل، على أن المناهج والطرق صارت في ذاتها مشكلة لأسباب يرجع أهمها إلى أن تعليم العربية جرى في العصور الخمسة الأخيرة على الأقل، ولا يزال على نماذج "سابقة التجهيز" prefabricated لم تصدر –أصالةً– عن معالجة موضوعية لخصائص "البيئة" التي تعيش فيها العربية، وكم عانى الناس ولا يزالون من "الاستيراد" الكامل لهذه النماذج، إضافة إلى "غياب" الجهود العلمية الضرورية قبل تنفيذ مناهج وطرق معينة، ومن ذلك غياب "الوصف" العلمي الحقيقي للعربية، وغياب "تحليل" الأنظمة اللغوية عن طريق الحاسوب بعد إعداد "الذخائر أو المدونات أو المتون" .

مفهوم الهوية

الهوية بالمعنى الفلسفي تعني حقيقة الشيء من حيث تميُّزه عن غيره، وتُسمَّى أيضاً وحدة الذات (لسان العرب لابن منظور؛ ص: [٢٠٧]، دار صادر– بيروت)

ويورد موقع Islamweb.net هذا المصطلح مُستدلاً بحديث أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها قالت: "كنتُ أحب ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر، لم ألقهما قط مع ولدهما إلا أخذاني دونه، فلما قَدِمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ونزل قباء غدا عليه أبي وعمي مغلسين، فلم يرجعا حتى كان مع غروب الشمس، فأتيا كالين ساقطين،

يمشيان الهوينى، فهششتُ إليهما كما كنتُ أصنع، فوالله ما التفت إليّ واحد منهما مع ما بهما من الغم، وسمعتُ عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي: أهو هو؟" قال: نعم والله، قال عمي: أتعرفه وتثبته؟ قال: فما في نفسك؟ أجاب: عداوته والله ما بقيت" (السيرة النبوية، ابن هشام)

فقول أبي ياسر (أهو هو) إشارة إلى شخص النبي صلى الله عليه وسلم وصفاته الموصوف بها في التوراة.

وجاء في معجم العلوم التربوية ١٩٧٥ (أن الهوية تعني حب الوطن وهي مثل القومية، وهي عاطفة إنسانية تربط الفرد بالوطن، والوطن ذو مدلول واسع يراد به الوطن الصغير وهو القرية التي يقيم بها الفلاح في الريف، ويراد به الدولة بمعناها الحديث وقد يشمل الوطن الحديث أرجاء فسيحة فيمتد إلى قارة بأسرها) (معجم العلوم الاجتماعية، وايفي وآخرون)

وفي علم الاجتماع: أشار (كاظم وآخرون ٢٠١٣) إلى أن وجهات النظر حول تعريف الهوية الوطنية تتباين في رؤية المختصين في علم النفس والاجتماع حول مفهوم الهوية الوطنية، ومدى تأثيرها على شعور الفرد في معرفة مفهوم الهوية الذاتية والوطنية، ويستعرضون بعضًا من وجهات النظر تلك على النحو الآتي:

أ- ترى هورني Horne أن العوامل الثقافية تؤثر على السلوك الإنساني وأن أي خلل في العلاقات الاجتماعية لا بد وأن يولّد خللاً في السلوك وتعتقد أن هناك صلة بين الخبرات الماضية وما فيها من صراعات تؤثر على البنيان الخلقي للفرد وما يعانيه من مشكلات في المستقبل (الداهري، ١٩٩٨، ١٠٢)، ومن هنا فإن الفرد في وجهة نظرها لا يمكن أن يعيش حياته في أمن واستقرار بعيداً عن إطار المجتمع فضلاً عن التفاعل الاجتماعي مع الآخرين يكسب الإنسان الإحساس بهويته وقيمته وقدرته على مواجهة ضغوط الحياة .

ب- يربط (روجرز) بين تحقيق الفرد لذاته وبين تحمله للمسؤولية الجماعية حتى يتمكن من العمل الجاد المثمر لتأكيد شخصيته وهويته في المجتمع الذي يعيش فيه، وبذلك يؤكد في نظريته حول الذات أن إدراك الفرد الإيجابي لهويته تجعله يعيش حياة آمنة ومستقرة له ولمجتمعه بشكل إيجابي ويتكيف تبعاً لذلك مع بيئته المحيطة.

ج- يرى كل من (آريكسون والبورت وفروم) في إطار نظرية الهوية الاجتماعية: (Social Identity Theory) وضمن اهتمامات علم النفس الاجتماعي، أن انتماء الفرد إلى المجموعات الاجتماعية، ومفهوم المجموعة تميزه العلاقة النفسية المشتركة بين أعضاء الجماعة والوعي لدى أفرادها، فيصبح لهم هوية جماعية مشتركة ومصير جماعي مشترك، وأن الوعي الجماعي Group Awareness المشترك أو الشعور المشترك بالانتماء للمجموعة يشكل العامل النفسي الأهم في تعريف أي تكتل بشري أو فئة اجتماعية، حيث تمثل مجموعة لها هوية مشتركة بالمعنى النفسي لمفهوم الهوية .

د- يرى (عايد، ٢٠٠٨ ، ٩٣) .أن نظريات الهوية الاجتماعية تقوم على مجموعة من الفروض منها أن الأفراد يسعون لتحقيق هوية اجتماعية خاصة بهم، ويعملون على المحافظة عليها بصورة إيجابية، وأنهم يستمدون هويتهم من عضويتهم في مختلف أنواع الجماعات، وأن الأفراد يدركون هذه العضوية عن طريق التصنيف الاجتماعي، وأن الهوية الاجتماعية هي المكوّن الرئيس الذي تتألف منه مجموعة من الهويات منها (الدينية والقومية والثقافية والمهنية والوطنية) .

هـ - يعرف العادلي ٢٠٠٧ الهوية بأنها تعني وعياً وشعوراً وحباً مركزاً من الفرد أو الشعب أو الأمة تجاه وطنهم المحتضن لهم والعائد إليهم، والهوية الوطنية : Nationalism Identity في مفهومها النظري هي جزء من مفهوم الفرد عن ذاته، ونابعة من معرفته بكونه عضواً في جماعة اجتماعية، محددة بأرض فضلاً عن الدلالات القيمية والوجدانية المصاحبة لتلك العضوية .

بعض النظريات المحددة للهوية الوطنية

تتناول نشأة الهوية جملة من النظريات التي تركز على الأبعاد الاجتماعية وتؤسس لنشأة الهوية وفقًا لبعض العوامل التي ترى أهميتها، ونذكر فيما يلي أمثلة منها:

١- العامل الجغرافي:

يقسم ابن خلدون الأمم بحسب هذا العامل إلى مجتمعات جبلية وسهلية وذلك عند حديثه عن العصبية – وقد مال إليه ابن خلدون إلى مبدأ (العصبية) ويرى أثرها في تشكيل المجتمع، وتكوين صفاته

الموحدة، مما يجعله يمتلك رؤية موحدة تجاه مجمل القضايا التي تحيط به، ويصبح له رؤية محددة للعلاقة مع الطبيعة وطريقة التعامل معها، ولهذا قسمت.

٢- العامل البيولوجي:

تقول الفلسفة البرجوازية والأحزاب التي نشأت في أوروبا بالتأثير العميق للعامل البيولوجي في تكوين الهوية، وصناعة الوعي الوطني، ففي نظرهم أن الشعوب التي تنتمي إلى سلالات بيولوجية عضوية واحدة لها طبيعة في التوحد مع بعضها أكثر من غيرها، ومنه برزت فكرة التقسيم الأممي إلى شعوب آرية وشعوب سامية ولكل منها جينات وموروثات بيولوجية خاصة. وقد أيَّد ذلك التوجُّه النازي هتلر، كما نادى به الصهاينة الذين يرون أنفسهم شعب الله المختار، وتبناه كمال أتاتورك في تبنّيه لحركة التتريك.

٣- العامل الأنثروبولوجي:

ويتشابه هذا العامل مع سابقه، غير أن أنصاره يغلّبون التكوين التاريخي للمجتمعات وتكوّن هوياتها من خلال بحوثهم ودراساتهم في مجال الأجناس البشرية، ودراسة الطبيعة، ويرون أن كل وحدة في مجتمع بشري قد شكلت علاقات معينة مع بعضها البعض، ونتيجة تلك العلاقات أسست مجتمعها الخاص بها، في إطار أهدافها وتوجهاتها ورؤيتها المحددة . وقد أيد هذا التوجه دارون ثم تبعه كثيرون.

٤ ـ التوجه الليبرالي:

نظرية الهوية الوطنية الليبرالية من النظريات الفلسفية التي أشارت إلى عمق العلاقة بين الإنسان وأخية الإنسان على مرّ العصور وهي فلسفة موضوعية اجتماعية تعبر عن هوية الوطن ومدى ارتباط أفراده به ضمن قواسم مشتركة عدتها الفلسفة الليبرالية بمنظومة القيم الإنسانية وأهمها – العدل والحرية والسلام – التي نتج عنها النظريات السياسية والاقتصادية المعنية بتحقيق الرفاه للمواطنين ونبذ الفئوية والظلم والمُصادرة للحقوق الطبيعية والوضعية للإنسان.

ولما كانت نظرية الهوية الوطنية بالمفهوم الليبرالي تعنى بالقيم الإنسانية، فقد اهتمت بتدعيم وتأطير مؤسسات الدولة، والمحافظة عليها، وتجسيد الطبيعة الوطنية في إطار القضايا الأممية. ويرى أنصار هذا التوجه" أن الليبرالية تُنمي وتطور لدى منتسبيها الطابع الوطني بمفهومه الحديث، وتعتبر الحدود القطرية تجسيدًا للوطن، ولذلك تلغي في وعيها الثقافي الصيغ الوحدوية الإكراهية أو القهرية والتي يميل إليها دعاة الفكر القومي، ويرون أن التيار الليبرالي في حقيقته التاريخية مفهوم قُدم لصيانة الهوية الوطنية، ورعاية تضاريس الدولة القُطرية، ونزع كل توجه من شأنه تدمير البناء الوطني الموحد ضمن واقعه الموضوعي التاريخي والجغرافي، وكل ما يتعلق بتشكيله السياسي والاجتماعي للحفاظ على الهوية الوطنية: http:// liberaldemocraticpartyofiraq.com/ serendipity

٥ ـ تتنازع الهوية توجهات متباينة،

فمنها ما يسعى لتضييق مفهومها حول "الوطنية" بينما يميل آخر نحو توسيعها لتشمل "القومية" وكذلك "الأممية"، ولما كانت العناصر الوطنية أو القومية مكونات تلعب دورها في تحديد الهوية المقصودة، فإن هناك توجهات ترى أن "بروز أي من تلك المكونات في أي مرحلة تاريخية يعتمد على الأوضاع الاحتمالية في الصراع الاجتماعي – التاريخي، وأيّها يكون أكثر استجابة للتهديد أو التوقع بتهديد مقومات الهوية، وأقدر على الضبط وتقنين السلوك المعبر عن الهوية، وأيها كذلك أكثر فاعلية في التمكين وفي الانتشار الثقافي والتوسع الحضاري. فعندما نقول إن هناك صراعًا بين القومي والوطني، تواجهنا هذه التساؤلات، عند ذلك فقط نستطيع تفسير: لماذا طغت الهوية الدينية على الانتماء القومي، والانتماء القومي على التعصب المحلي أو القبلي؟ ولماذا في فترات أخرى يطغى الانتماء القومي، والانتماء القومي على التعصب المحلي أو القبلي؟ ولماذا في فترات أخرى يطغى الانتماء الطبقي على الانتماءات الأخرى؟ فالمحك إذن في تحديد الإجابة هو تاريخية الصراع والأوضاع الاحتمالية له وما تتعرض له الوية من مخاطر تتهددها. (بين الهوية والثقافة: ندوة الثقافة وقضايا الحياة العربية الراهنة، ١٩٩٩ – ٢٠٠٠م)

ولعل هذا ما يفسر لنا أن العودة للهوية العربية، والتمسك بها، ومحاولات العمل على حفظها قد ظهر عندما حدثت المواجهة بين الهوية العربية والاستعمار الاستيطاني في القرن الثامن عشر، وتحديدًا في المواجهة بين محمد علي ونابليون، ومن ثم الغرب بوجه عام، فأحيت هذه المواجهة الانتماء الإثني المتلبس بالهوية الدينية – عند العرب

بصيغة الجامعة الإسلامية، مما جعل العرب يتجهون نحو عملية الإحياء الإثني – الديني لمراجعة الثقافة العربية والتراث العربي، بقصد جعله سلاحًا تعبويًا في الصراع التاريخي، وهو ما يمكن أن يطلق عليه عملية اختراع التقاليد (Invention of Traditional)، فهذا التراث العربي أعيد تفسير معطياته الأساسية في هذه المرحلة في مقولة الجمع بين الأحسنين، ولكن سرعان ما ظهرت عمليات التغريب (Westernization Alion) .

وبصفة عامة يمكن أن نقول:

إن الهويّة هي الخصوصيّة الذّاتيّة، وتعبر عن ثقافةً الفرد، ولغته وعرقه وعقيدته بالإضافة إلى حضارته وتاريخه، ويكتسبها الفرد من انتمائه لمجتمعه وأمته، وإنّ كان الفرد يمتلك الهويّة بإثبات الشخصيّة التي يحصل عليها، وتحتوي على عدد من النّقاط التعريفيّة، مثل الاسم والجنسية وتاريخ الميلاد والدّيانة، فإن العبرة تتمثل في السلوك المعبّر عن التمسك بالهوية والمحافظة عليها، والاعتزاز بمكوناتها

وإنه عندما يشتد الشعور الوطني والقومي، فإن الفرد يستمد إحساسه بالهوية والانتماء، ويحسّ بأنه ليس مجرد فرد فقط " وإنما يشترك مع عدد كبير من أفراد الجماعة في عدد من المعطيات والمكونات والأهداف، وينتمي إلى ثقافة مركبة من جملة من المعايير والرموز والصور، وفي حالة انعدام شعور الفرد بهويته نتيجة عوامل داخلية وخارجية، يتولد لديه ما يمكن أن نسميه بأزمة الهوية التي تفرز بدورها أزمة وعي، تؤدي إلى ضياع الهوية نهائيًا، فينتهي بذلك وجوده، وإنه أيًا كان تعريف الهوية فإن الاهتمام بها، والعمل على إحيائها بين الحين والآخر ينشأ نتيجة التحديات والصراعات التي تتهدد الهوية الوطنية وسيادة الدول، والتي تأخذ أشكالاً مختلفة دينية أو عرقية أو ثقافية أو اقتصادية وسياسية وعسكرية .

مكونات الهوية العربية ومكانة اللغة العربية فيها

هناك مجموعة من العوامل التي تساعد في تشكيل هوية الأمة القومية والوطنية، وعلى رأسها اللغة التي كلما كانت أكثر اتصالا بثقافة الشعوب كانت أقدر على تشكيل هوية الأمة، وقد كانت اللغة العربية من أقدم العناصر ذات الأثر في تكوين الهوية العربية التي بدأت في التشكل ـ دستوريًا إذا صح التعبير ـ منذ كتابة صحيفة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) بعد هجرته من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة " يثرب " حيث انطلقت صحيفة المدينة إلى مفهوم أشمل للهوية، وأصبح الدين الإسلامي مكونًا أساسيًا للهوية الشاملة عربيًا وإسلاميًا مما وسَّع مفهوم الهوية عبر الدين الحنيف، الذي أضفى أبعادًا إنسانية قِيمية في التواصل والحياة الإنسانية، في حين بقيت الثوابت العربية للهوية، والتي شاركت فيها اللغة العربية بالدور الأهم، حيث بقيت لغة القرآن محافظة على ثباتها الإيجابي باعتبارها مكونًا أساسيا للهوية العربية.

وبعد بزوغ شمس الإسلام أصبحت الهوية العربية تتكون من مجموعة من العناصر المترابطة التي تتكامل فيما بينها لتشكل هوية الإنسان العربي، وتطبعه بخصائص وسمات محددة، ونوجزها ـ باختصار ـ في:

- الدين الإسلامي:

الذي يمثل مكونًا ساميًا ورئيسًا من مكونات الهوية العربية، ومع أن العرب ليسوا جميعا مسلمين فقد كانوا هم العنصر الرئيسي في حمل راية الإسلام وحضارته إلى بلدان العالم، كما شاركتهم شعوب أخرى في تحمل هذا الشرف ومنهم الفرس والهنود، والأتراك، وبعض الأوربيين من إسبانيا بعد أن دخل الإسلام إلى الأندلس، حيث ضم الإسلام تحت رايته أجناسًا متعددة، وأصبحت رابطة العقيدة تسمو على ما سواها من روابط أو صلات.

- الجنس العربي:

يلعب العامل البيولوجي دورًا بارزًا في تكوين الهوية العربية على مرّ العصور، فقد اهتم العرب بنقاء أعراقهم، حتى إنهم اهتموا بعلم الأنساب، وخصص بعض العلماء العرب القدامى مؤلفات خاصة بالأنساب، واهتمت القبائل بما يعرف بشجرة العائلة التي تتحدد فيها أسماء الأجداد والآباء بدءًا من جذر محدد ومرورًا بالأغصان وانتهاء بالأوراق، ومع هجرات القبائل العربية وانتقالها تبعًا للظروف الاقتصادية المناخية والتضاريسية، امتدت رقعة الجنس العربي على مساحة كبيرة عُرفت بالوطن العربي، وامتزج الجنس العربي بأجناس تلك البلدان، التي أصبح أهلها عربا بالتزاوج والتوالد، وبتعلُّم اللغة العربية، وانتقال التراث الثقافي العربي والإسلامي إليهم .

- التاريخ والثقافة العربية:

الثقافة هي الوسط الذي نعيش فيه، وتمثل محددًا سلوكيًا يوجه سلوك الفرد في الفضاء الاجتماعي فهي عنصر ملازم للاجتماع، فلا يوجد مجتمع من غير ثقافة، كما أن الثقافة تنبع من داخل الإنسان، وتعبر عن نفسها عن طريق منتجاتها الإنسانية، والثقافة تنتقل من جيل إلى جيل، ومن جماعة إلى أخرى بحيث يمكن أن ترسل الأفكار بواسطتها عبر الفضاء الاجتماعي متخطية بذلك الحواجز الجغرافية والسياسية، " وتؤدي الثقافة وظيفة الضبط الاجتماعي التي تمكن الجماعات من التكيف مع البيئة الطبيعية، بابتكارها تنظيمات اجتماعية تقوم بتقنين السلوك الاجتماعي، بما يتناسب ويتوافق مع قيم ومعايير الجماعة، وهنا تكمن الثنائية في وظائف الثقافة: وظيفتي التمكين والتقنين (Enabling & Constraining). فالوظيفة الأولى للثقافة هي التمكين (أي التوسع والانتشار والمزج والخلط والتركيب) أما الوظيفة الثانية للثقافة فهي التقنين (أي الحصر والفرز والانتقاء)، وتعتبر الهوية إحدى أهم أدوات التقنين، فهي التي تحدد درجة انتشار حالة التشابه مع الذات (Self – Similarity)، أو السمات المشتركة بين أفراد الجماعة التي تميزهم عن "الآخر" والجماعات الأخرى، وتحدد بالتالي من يدخل في الجماعة ومن يبقى خارجها.

- اللغة العربية:

تمثل اللغة العربية الركيزة الأساسية من مكونات الهوية العربية، ولا يعني ترتيبها في هذا التناول السريع لعناصر تشكيل الهوية ترتيبًا للأهمية، فاللغة العربية هى الأداة الأساسية التي يتواصل ويتفاهم بها العربي مع أخيه العربي على امتداد رقعة الوطن العربي وخارجه، واللغة العربية تختلط بمشاعر العربي المسلم لكونها اللغة التي نزل بها القرآن الكريم، ، كما سجلت سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي اللغة التي تتم بألفاظها بعض الشعائر الواجبة على المسلم ـ في مختلف أنحاء العالم ـ ومنها الصلاة، فهي لغة مقدسة عالية الشأن، "وفي ظل الإسلام استطاعت اللغة العربية أن توسع رقعتها الجغرافية وتعمق رصيدها البشري، وتستوعب الحضارات المختلفة الفارسية والهندية واليونانية، وتجعل منها حضارة عالمية المنزع إنسانية الرؤى". (الأشقر، ٢٠١١)

وتمثل اللغة العربية المضمون الروحي للهوية العربية، وهي أساس تراثنا، ومادة ثقافتنا وحضارتنا، وهي التي سجلت ونقلت لأبناء العرب تراث الآباء والأجداد على مرّ العصور، وأتاحت لهم الاطلاع المباشر على الإرث الثقافي والحضاري الذي تكوَّن لأمتنا منذ القدم، وهي رمز الهوية، وتأتي على رأس مكوناتها، فهي الأصل في بناء الهوية، ولذلك فإن الاهتمام باللغة العربية هو اهتمام بجوهر هوية الأمة والتي كانت مصدر اعتزازهم وفخرهم، كما كانت مصدر تنافسهم وإجادتهم، في أسواقهم التاريخية، ومنها سوق عكاظ التاريخية الشهيرة، التي كانت اللغة فيها سلاحًا للتفاخر ومجالاً للمناظرات والمنافسات، وكان العربي يتعصب للغة قومه، ويباهي بصفائها لهجة، ويحرص على تنقيتها لتظل مصدر اعتزازه وفخره، وبذلك تولّد لدى أبناء العرب منذ القدم أن الاهتمام باللغة يدخل في صميم الاهتمام بتاريخ الأمة وحضارتها، وواقعها ومستقبلها .

وبذلك تظل اللغة العربية عنصرًا ثابتا لمكونات الإنسان العربي، ومكونات الأمة العربية التي يجب أن تهتم بها رمزًا لهويتها، وأساسًا لسيادتها الوطنية، وتوحدها العربي، حيث إن اللغة تمثل السيادة عند الدول التي تعي قيمة لغتها، فتجتد ما وسعها الجهد في المحافظة عليها، وتسعى ما وسعها السعي لنشرها، فاللغة لم تعد اللغة تقف عند حدود التواصل الاجتماعي، بل أصبحت تمثل جزءًا لا يتجزأ من السيادة الوطنية للدول، "ويكفي هنا الإشارة إلى تجربة الاتحاد الأوروبي التي تخطت كل مقاييس الاندماج، في المجالات السياسية والاقتصادية والأمنية والفضائية، ومع ذلك فإن هذه الوحدة قد توقفت عند حدود اللغة، حيث يعمل في مؤسسات الاتحاد الأوروبي ـ الذي يشمل سبعًا وعشرين دولة وبها ست وعشرون لغة ـ نحو أربعة آلاف مترجم فوري وتحريري، بغية حماية الشرعية الديمقراطية للاتحاد" (المستقبل، العدد ٣٢٣٢، ص ١٩)، فسيادة الأمم لصيقة الصلة بسيادة لغاتها ومؤسساتها التي ترتقى بهذه اللغات، ولنا في اللغة الإنجليزية مثال حي على ذلك، " فهي لم تنل مكانتها كلغة دولية لقدسية فيها، بل لأنَّ أهلها جعلوا منها لغة دولية، يوم أبدى بنيامين فرانكلين عام ١٧٥٠ قلقة من انتشار الألمانية في ولاية بنسلفانيا، ويوم عارض جورج واشنطن تشجيع الهجرة إلى الولايات المتحدة، مبررًا ذلك بأن المهاجرين من بين أخطارهم أنهم: " يحتفظون بلغاتهم

التي أتوا بها" المرجع : صبحي حديدي وآخرون، نحن والآخر، من إصدارات مهرجان جرش الحادي والعشرين ٢٠٠٢، الصفحة ١٩، كما أن اللغة الفرنسية تجد اهتمامًا معروفًا من فرنسا التي تحرص على إثبات حضورها كحضارة وقوة عالمية رئيسة عبر بسط السيطرة الفرنسية عبر المنظمة الفرنكوفونية، كما أن في تجربة اليابان مع العلوم والمعارف الأجنبية من أقوى التجارب الحديثة على إمكانية المشاركة في صناعة النهضة الحضارية العالمية، مع الإبقاء على الخصوصية الثقافية واللغوية للهوية اليابانية، " ففي أواخر القرن التاسع عشر الميلادي زمن محمد علي باشا، حين قرر المصريون التدريس في الجامعات والمعاهد باللغة الإنجليزية، أصرَّ اليابانيون على ضرورة التدريس باللغة اليابانية، وترجمة العلوم والمعارف الأجنبية إليها، فما أن أطل القرن العشرون حتى كان (٩٧/) من الشعب الياباني متعلمًا، وكانت نسبة الحاصلين على الشهادة الابتدائية في عام (١٩١٠م) مائة بالمائة، ثم تتابعت إنجازاتهم العلمية ومشاريعهم الحضارية، ضمن سلسلة من النجاحات الباهرة مقابل إخفاق عربي عام في جميع الميادين العلمية، وتدنٍّ واضح في نسب المتعلمين. (الأنصاري، ١٩٨٤)

وقد ضربت اليابان مثالاً مهما في المحافظة على هويتها ولغتها حتى في حالة انكسارها وهزيمتها، ويسجل التاريخ أنه " في الفترة ما بين ٤- ١٣ فبراير ١٩٤٦، أعدت إدارة الاحتلال الأمريكي لليابان مسودة دستور جديد لها، لكن اليابانيين رفضوا النقاش في النسخة الإنجليزية، وأصروا على صياغتها باليابانية أولًا، ومناقشة كل بند فيها، وإدخال تعديلات عليها تضمن مصلحة الشعب الياباني، وتحترم لغة اليابان وتراثها الثقافي، فأعلن عن مسودة الدستور رسميا باللغة اليابانية في ١٧ نيسان ١٩٤٦ وأرسلت إلى الحكومة اليابانية لدراسته، وبعد إصرار الجانب الياباني، وافق الجانب الأمريكي أن يكتب الدستور بلغة يابانية بسيطة ومفهومة من جميع اليابانيين، وشكلت لجان عدة لدراسة جميع التفاصيل الخاصة بالدستور. وعقدت اللجان المختصة عددا كبيرًا من الجلسات لمناقشة مواد الدستور بندًا بندًا، وكلمة كلمة، على مدى مائة وتسعة أيام، وسلمت توصيتها في ٢٩ تشرين الأول، ١٩٤٦. كانت المشكلة الأكثر تعقيدا تكمن في كيفية النظر إلى الإمبراطور وتحديد صلاحياته لأول مرة بموجب نصوص دستورية. وتمسك رئيس وزراء اليابان، يوشيدا، بمقولة أن الإمبراطور ورعاياه يشكلون عائلة واحدة، وأن الهوية الوطنية للمجتمع الياباني بموجب بنود الدستور الجديد يجب أن تؤكد على أن الشعب الياباني والإمبراطور هما كل لا يتجزأ، وهما مصدر السلطات. وهذه المقولة هي جوهر نظرية الكوكوتاي، أي قدسية الأرض والشعب والإمبراطور، وتعتبر العمود الفقري للشخصية اليابانية. فشعب اليابان والإمبراطور هما كيان واحد موحد". (ضاهر، ٢٠١٥)

ولغتنا العربية هي الأولى منَّا بالاهتمام فهي أهم ركيزة لتحصين هويتنا وتأكيد ذاتنا وشخصيتنا، ومن الواجب الدفاع عنها لاستعادة مكانتنا وتأكيدها بين الأمم، وبخاصة أنها تمتلك كل مقومات السيادة؛ فهي تمثل أطول الآداب العالمية عمراً على الإطلاق، فهي اللغة التي يستطيع أبناؤها قراءة خمسة عشر قرنًا من الإبداع في حين أن تاريخ اللغات الأخرى لا يزيد على خمسة أو ستة قرون، فلقد استطاعت اللغة العربية أن تبقى منذ عُرفت طوال قرون عديدة مهما انتابها من فترات ضعف وانحسار لشعوبها، فهي اللغة التي تمتلك مقومات البقاء، ويجب على أبنائها أن يعملوا جاهدين لتحقيق نقلة تاريخية في العناية بها لتصبح لغة العلوم والتقنيات المعاصرة، ولغة البحث والتعليم في مختلف فروع المعرفة ولغة معتبرة في الإعلام المعاصر، وبخاصة أنها أصبحت إحدى اللغات الست الرسمية المعترف بها في منظمات الأمم المتحدة .

وعي العرب لهويتهم واهتمامهم بها

وإزاء التحديات والواقع الذي تعاني منه الهوية العربية، وعَى القادة العرب في الآونة الأخيرة المخاطر التي تتعرض لها الهوية العربية، وعملوا على وضع الأطر اللازمة للمحافظة عليها، ورأوا أن اللغة العربية والعناية بها يأتي في قمة السبل للعناية بصيانة الهوية، ودعمها في نفوس الناشئة، وقد تمثل في محاولات عديدة سواء على المستوى الوطني داخل كل دولة، أو على مستوى مجموعات من الدول متمثلاً في مجامع اللغة العربية بالوطن العربي، وفي اهتمام دول مكتب التربية العربي لدول الخليج باللغة العربية، أو على المستوى القومي في التعاون العربي المشترك في إطار جامعة الدول العربية، وقد برز ذلك جليًّا في إعلان الرياض الصادر عن القمة العربية التاسعة عشرة، الذي تضمن عزم

القادة على العمل الجاد لتحصين الهوية العربية ودعم مقوماتها ومرتكزاتها وترسيخ الانتماء إليها في قلوب الأطفال والناشئة والشباب وعقولهم باعتبار أن العروبة ليست مفهوماً عرقياً عنصرياً بل هي هوية ثقافة موحدة.

كما أكد القادة في الإعلان عزمهم على اعطاء أولوية قصوى لتطوير التعليم ومناهجه في العالم العربي بما يعمق الانتماء العربي المشترك وكذلك تطوير العمل العربي في المجالات التربوية والثقافية والعلمية عبر تفعيل المؤسسات القائمة ومنحها الأهمية التي تستحقها.

اهتمام مكتب التربية العربي لدول الخليج باللغة العربية

عني مكتب التربية باللغة العربية منذ نشأته وتنال برامجها جانبًا كبيرًا من الأهمية، وحيّزًا واضحًا في خططه وأنشطته، باعتبارها لغة القرآن الكريم، وتنظر إليها دول المكتب على أنها رمز هوية الأمة، وأن خدمتها والمحافظة عليها خدمة للدين وللأمة ، كما أن الاهتمام بها يأتي ليترجم أهداف المكتب التي يعمل عليها من أجل إظهار شخصية المنطقة العربية الإسلامية، وتدعيم وحدة شعبها، ويلاحظ في البرامج التي نفذها المكتب في اللغة العربية أنها تمثّل دليلًا على حرصه بأن يعالج مختلف الجوانب التي تهم اللغة العربية: تعليمًا، وتعلمًا، وانتشارًا وتطويرًا لمناهجها وطرائق تدريسها ووسائل وأدوات تقويمها، حيث تناولت برامج المكتب أهداف المناهج وتوحيدها في دوله الأعضاء، وتطوير مضامينها، كما تناولت معلم اللغة العربية ورفع كفاياته في مختلف مراحل التعليم العام، وتحسين وتطوير استراتيجيات وطرائق التدريس، وتوظيف التقنية فيها، وأدوات تقويم مستوى التحصيل الدراسي للطلاب في اللغة العربية، كما عملت البرامج على تطوير تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها وفق مناهج وكتب وطرائق تدريس مناسبة لأعمار الدارسين، وعُني مكتب التربية العربي لدول الخليج بالتعاون مع المنظمات والمؤسسات العاملة في مجال خدمة اللغة العربية والمهتمة بها داخل دوله الأعضاء وعلى المستويين العربي والدولي، ولتكثيف جهوده في خدمة اللغة العربية أسس المكتب جهازًا متخصصًا يتبعه، يقوم على خدمة اللغة العربية، والعناية ببرامجها، وهو المركز التربوي للغة العربية لدول الخليج، الموجود مقره بالشارقة بدولة الإمارات العربية المتحدة . ويعتبر إنشاء المركز من أبرز ما تحقق لخدمة اللغة العربية في المنطقة، وقد جاء إنشاؤه استجابة لعدد من الدواعي، منها تعاظم دور اللغة على مختلف الأصعدة والمستويات الاجتماعية والثقافية والإعلامية، وتأثيرها المباشر وغير المباشر في العلاقات الدولية، بوصفها مرآة القوة والهيمنة الاقتصادية والسياسية، وتراجع دور اللغة العربية بوصفها أداة اتصال وتواصل بين شعوبها، وأداة للتفكير والإبداع، وأداة للتقدم والنمو العلمي والثقافي، والضعف الملحوظ في أواسط الطلاب في اللغة العربية في القراءة والكتابة والتعبير والاستيعاب والتواصل، وفي تحصيل علوم اللغة العربية، وفي الإقبال عليها. وقد زادت مشكلة ضعف الطلاب في اللغة العربية وتفشت حتى أصبحت ظاهرة مقلقة تدعو إلى معالجتها على مختلف المستويات، ومما ينبغي التنبيه إليه والتحذير منه وبذل الجهد لتجاوزه، تشتت الجهود المبذولة لتطوير تعليم اللغة العربية وتعلمها، مما أضعف الاستفادة من نتائج تلك الجهود، وزاد في تردي مستوى اللغة العربية في التعليم العام، وعجز مناهج تعليم اللغة العربية عن بث الاعتزاز في نفوس الطلبة بلغتهم العربية والشعور بقوتها ومرونتها وجمالها وحيويتها وقدرتها على استيعاب التطورات العلمية والتقنية الحديثة، وبالإضافة إلى ضعف أداء كثير من معلمي اللغة العربية، وقصور مؤسسات إعداد المعلمين عن تأدية واجباتها اللغوية، ونقص برامج التأهيل والتدريب المهني والعلمي لمعلمي اللغة العربية.

وقد نفذ المركز التربوي للغة العربية عددًا من البرامج لخدمة اللغة العربية من بينها:

- برنامج ضعف مخرجات التعليم في اللغة العربية، (دور المؤسسات التعليمية .. وسبل العلاج).
- توظيف التقنية في تدريس اللغة العربية.
- ندوة "نحو منهج جديد للغة العربية في التعليم العام".
- معايير تعليم اللغة العربية في الصفوف الأولية.
- أساليب تقييم الطلبة في اللغة العربية.
- تطوير معايير مناهج اللغة العربية.
- تطوير سياسات تقويم أداء الطلاب في اللغة العربية.
- تطوير معايير اختيار وإعداد وتدريب معلمي اللغة العربية.
- تطوير استراتيجيات تدريس اللغة

العربية.

- كما عقد عددًا من المؤتمرات والندوات والمهرجانات الاحتفالية بالبوم العالمي للغة العربية.

أهداف الدراسة الحالية

يتمثل الهدف العام من الدراسة في: تطوير محتوى مناهج اللغة العربية بالمرحلة الابتدائية (الصفوف ١-٦) بمدارس التعليم العام بالدول الأعضاء في مكتب التربية العربي لدول الخليج في مجال مفاهيم العروبة والبُعد العربي؛ لتأصيل الهوية العربية في نفوس تلاميذ هذه المرحلة، وترسيخ مبادئ العروبة والبُعد العربي في تكوين شخصياتهم ومداركهم ووجدانهم، وذلك من خلال العمل على تحقيق الأهداف التالية:

١- مراجعة نماذج من محتوى مناهج اللغة العربية بالمرحلة الابتدائية (الصفوف ١-٦) في الدول الأعضاء؛ للتعرف على ما تحمله من مضامين العروبة وأبعادها، ومفاهيم الهوية العربية، واستخلاص مضامينها.

٢- اختيار مفاهيم العروبة والبُعد العربي وتحديدها، والتي يمكن تضمينها في مناهج اللغة العربية والكتب الدراسية.

٣- اقتراح مجموعة من النصوص اللغوية التراثية والمعاصرة التي تترجم تلك المفاهيم وتُعزز البُعد العربي، واختيار مجموعة من الأحاديث النبوية والنصوص الشعرية والقطع النثرية، والقصص القصيرة والمواقف اللافتة للانتباه، والتي من شأنها الإسهام في تطوير محتوى مناهج اللغة العربية في مجال مفاهيم العروبة والبُعد العربي، مع مراعاة مناسبتها لأعمار تلاميذ الصفوف (١-٦) المرحلة الابتدائية.

إجراءات الدراسة

تُعدُّ هذه الدراسة الأولى من نوعها ـ في موضوعها وتخصصها ـ التي يقوم بها مكتب التربية العربي لدول الخليج، متمثلاً في المركز التربوي للغة العربية، ولأهمية هذ الدراسة، وسعيًا لتحقيق أهدافها تم اتباع الإجراءات الآتية لإنجازها :

١- القيام بوضع إطار عمل يحدد الإجراءات المختلفة لتنفيذ هذه الدراسة، ومراحل تنفيذها

٢- إعداد الإطار النظري للدراسة، والاطلاع على عدد من الدراسات السابقة، ذات الصلة بموضوع الدراسة، والوقوف على أبرز الجهود التي قام بها مكتب التربية العربي في برامجه التي تُعنى باللغة العربية،

٣- تحديد أفضل الآليات والسُّبل لجمع البيانات، والمعلومات اللازمة لخدمة الدراسة في مراحلها المتتالية، وتحديد أساليب تحليلها.

٤- اتباع منهجية اقتراب مناسبة تتلاءم مع أهمية هذه الدراسة، وذلك بمراجعة نماذج من محتوى كتب اللغة العربية بالمرحلة الابتدائية (الصفوف ١-٦) في الدول موضع الدراسة؛ للتعرف على ما تحمله من مضامين العروبة وأبعادها، ومفاهيم الهوية العربية، للوقوف عليها، ومن ثم يمكن اقتراح قائمة أولية بالعناصر المكونة للبعد العربي، والتي يمكن أن تتضمنها كُتب اللغة العربية في المرحلة الابتدائية.

٥- إعداد استبانة لاستطلاع رأي للوقوف على مرئيات بعض المختصين والمهتمين حول أهم العناصر التي تمثل البعد العربي، والتي يحسُن أن تتضمنها كتب اللغة العربية في المرحلة الابتدائية للاستفادة منها في الصياغة النهائية لقائمة الموضوعات .

٦- إعادة تحديد العناصر والموضوعات التي تهتم بالهوية العربية والبعد العربي في ضوء نتائج تحليل الاستبانة.

٧- تحليل مضمون عينة من كُتب اللغة العربية المقررة في المرحلة الابتدائية للوقوف على مدى شموليتها لتلك العناصر، وكيفية معالجتها وتقديمها لتلاميذ المرحلة الابتدائية .

٨- الوقوف على الجوانب الإيجابية والسلبية في معالجة الكُتب للهوية والبُعد العربي، واقتراح الحلول المناسبة التي يجب مراعاتها في تقديم الموضوعات التي تدعم البُعد العربي في الكتب الدراسية في ضوء نتائج الدراسة.

٩- اقتباس آيات من القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، واختيار نماذج من مجموعة النصوص الشعرية، والقطع النثرية المعاصرة والتراثية التي تترجم تلك المفاهيم، ويكون من شأنها تقديم أمثلة ونماذج تساعد في تعزيز البُعد العربي في مناهج وكتب اللغة العربية في المرحلة الابتدائية .

١٠- تحكيم الدراسة ومنتجاتها من قِبل

مختصين وإعادة صياغتها في ضوء نتائج التحكيم، ومن ثم إرسالها إلى المركز

منهجية الدراسة

حتى تؤدي الدراسة أهدافها فإنها تتبع كلاً من:

أ- المنهج الوصفي التحليلي (Descriptive Analytical Method)، وذلك للوقوف على آراء مجموعة من المختصين والمهتمين حول العناصر والموضوعات التي تسهم في تكوين الهوية العربية، وينبغي أن تشملها الكُتب والمناهج الدراسية بدول الخليج العربية، لتعزيز اهتمامها بالبعد العربي وغرسه وتنميته في نفوس التلاميذ.

ب- منهج تحليل المضمون: وهو أنسب الأساليب وأجداها للتصدي لمثل هذا النوع من الدراسات ؛ لقدرته على تعرُّف توجُّهات واتجاهات مناهج وكتب اللغة العربية في هذه المرحلة العمرية، والوقوف على ما تقدمه في موضوع الدراسة بطريقة علمية منظمة، لا تستند إلى انطباعات الباحثين الذاتية، أو المعالجة العشوائية، إضافة إلى ما يوفره تحليل المضمون من حقائق كمية تفيدنا في مراجعة وتحليل نماذج من محتوى كُتب اللغة العربية بالمرحلة الابتدائية (الصفوف ١-٦)؛ للتعرف على ما تحمله من مضامين العروبة وأبعادها، ومكونات الهوية العربية، بغرض استخلاص واقع تلك المضامين في الكُتب موضع الدراسة، والوقوف على مواقع القوة والضعف في معالجتها، ومن ثم يمكن للدراسة التوصل إلى توصيات عملية بشأنها، واختيار وصياغة نصوص مناسبة للعناية بالبُعد العربي في كُتب اللغة العربية ومناهجها.

تساؤلات الدراسة

يتمثل التساؤل الرئيس في هذه الدراسة في:

إلى أي حد تم تضمين عناصر الهوية العربية في كُتب اللغة العربية المقررة على السنوات الدراسية (١ – ٦) بدول مجلس التعاون دول الخليج العربية، بما يخدم تعزيز البُعد العربي في المناهج الدراسية ؟ ويتفرع عن هذا السؤال الرئيسي الأسئلة الآتية:

أ- ما أهم العناصر التي تشكل الهوية العربية؟

ب- ما مدى شمولية كُتب اللغة العربية في المرحلة الدراسية (١ – ٦) بدول الخليج العربية لهذه العناصر؟

ج- ما العناصر المكونة للهوية العربية التي تحتاج إلى الاهتمام بها في الكُتب الدراسية للغة العربية في المرحلة الدراسية (١ – ٦) بدول الخليج العربية ؟

د- ما أهم الموضوعات التي تناولها كل عنصر من عناصر الهوية العربية والبُعد العربي في الكُتب الدراسية للغة العربية في المرحلة الدراسية (١ – ٦) بدول الخليج العربية ؟

ه- ما الصور التي تم بها تناول موضوعات البُعد العربي في كتب اللغة العربية في المرحلة الدراسية (١ – ٦) بدول الخليج العربية ؟

مجتمع وعينة الدراسة

يتمثَّل مجتمع الدراسة في كتب اللغة العربية المقررة في المرحلة الابتدائية في دول مجلس التعاون الخليجي في عام (٢٠١٥م)، وعدد هذه الكتب (١٢٩) مائة وتسعة وعشرون كتابًا ما بين كتب للقراءة والكتابة والمحفوظات، وقواعد النحو العربي، وكراسات للخط، وأخرى للتدريبات والأنشطة، وقد تم الحصول عليها عن طريق المركز التربوي للغة العربية لدول الخليج بالشارقة.

وبعد الاطلاع عليها بصورة شاملة تم اختيار عينة الدراسة لتمثل مجموعة متجانسة وتحددت في جميع كتب القراءة والكتابة في مجتمع الدراسة ومجموعها (٧٥) خمسة وسبعون كتابًا مقررة على الصفوف (١ – ٦) من المرحلة الابتدائية خلال الفصلين الدراسيين في عام ٢٠١٥م، وهي تمثل ما نسبته (١٠٠,٠٪) من كتب القراءة والكتابة المقررة في تلك الصفوف.

إجراءات جمع المعلومات

اتخذت الدراسة نهجًا علميًا لبناء استمارة جمع المعلومات التي سيتم تحليل مضمون كتب اللغة العربية وفقًا لها، حيث تم اختيار العناصر والموضوعات التي تكوّن الهوية العربية وتؤثر عليها، وتمثل في مجموعها موضوعات تهمُّ البُعد العربي، ويجب معالجتها في كتب اللغة العربية بالمرحلة الابتدائية، وتم ذلك بناءً على نتائج الدراسات السابقة، ومعطيات الإطار النظري للدراسة، وفي ضوء ذلك تم اختيار (١٣) ثلاثة عشر عنصرًا، جاءت على النحو الآتي:

١- الدين الإسلامي.

٢- اللغة العربية.

٣- القيم والعادات والتقاليد العربية.
٤- الأرض العربية وأقطارها وبلدانها.
٥- حضارة العرب وتاريخهم.
٦- أعلام العرب والمسلمين وعلماؤهم.
٧- التعاون العربي المشترك.
٨- قضايا العرب المعاصرة ومشكلاتهم.
٩- المنظمات والمؤسسات العربية.
١٠- مستقبل الأمة العربية.
١١- التحديات التي تواجه الأمة العربية.
١٢- العرب والعولمة.
١٣- الوحدة العربية والتضامن العربي.

وقد تم استطلاع رأي مجموعة من الخبراء في دول مكتب التربية العربي لدول الخليج وذوي الصلة من المتخصصين والباحثين، وذلك وفق مقياس خماسي لقياس درجة أهمية كل عنصر (مهمة جدًا، مهمة، إلى حد ما، غير مهمة، غير مهمة مطلقًا) كما تم إتاحة الفرصة لإضافة ما يرونه من عناصر، وبلغ عدد المتجاوبين منهم (٩) تسعة أفراد.

صدق استبانة تحديد عناصر الهوية العربية والبُعد العربي:

تم التأكد من الصدق الظاهري للاستبانة وذلك بعرضها على مجموعة من الخبراء والذين أبدوا مناسبتها، وقد تم التحقق من مناسبة العبارات الواردة فيها، وأنها تُسهم بدرجة كبيرة في تحقيق أهداف الدراسة.

ثبات استبانة تحديد عناصر الهوية العربية والبُعد العربي:

تم حساب ثبات الاستبانة وذلك باستخدام معامل ثبات ألفا كرونباخ Cronbachs Alpha وذلك على كامل أفراد عينة الاستبانة من الخبراء والمختصين وقد بلغ معامل ألفا كرونباخ لإجمالي الاستبانة (٠,٨٧) وهو معامل ثبات مرتفع مما يدل على تحقق ثبات الاستبانة بشكل عام.

أهم نتائج الدراسة

١- نتائج تحليل استبانة تحديد عناصر الهوية العربية والبُعد العربي:

- جاء المكونان (الدين الإسلامي، اللغة العربية) في نفس المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (٥,٠) لكل منهما.
- جاء المكون (حضارة العرب وتاريخهم) في المرتبة الثالثة بمتوسط حسابي (٤,٨٩).
- جاء المكونان (الأرض العربية وأقطارها وبلدانها، أعلام العرب والمسلمين وعلماؤهم) في نفس المرتبة الرابعة بمتوسط حسابي (٤,٧٨) لكل منهما.
- جاء المكونان (القيم والعادات والتقاليد العربية، الوحدة العربية والتضامن العربي) في نفس المرتبة السادسة بمتوسط حسابي (٤,٦٧) لكل منهما.
- جاءت المكونات الأربع (التعاون العربي المشترك، قضايا العرب المعاصرة ومشكلاتهم، مستقبل الأمة العربية، تحديات الأمة العربية) في نفس المرتبة الثامنة بمتوسط حسابي (٤,٥٦) لكل منهما.
- جاء المكونان (المنظمات والمؤسسات العربية، العرب والعولمة) في نفس المرتبة السادسة بمتوسط حسابي (٤,٢٢) لكل منهما.، حيث كانت أكبر قيمة للانحراف المعياري للمكونين (المنظمات والمؤسسات العربية، العرب والعولمة) مما يدل على أنهما أكثر مكونين اختلف حولها أفراد عينة الدراسة من الخبراء.
- إجماع أفراد عينة الدراسة من الخبراء على العناصر الثلاثة عشر والتي تمثل مكونات الهوية العربية والبُعد العربي وذلك بدرجة أهمية (مهمة جدًا)، كما رأى بعض الخبراء إضافة بعض العناصر الأخرى غير الواردة في الاستبانة من وجهة نظرهم وتم إضافة عنصر (الوطن) من بين مقترحاتهم ليصبح عدد عناصر الاستبانة (١٤) أربعة عشر عنصرًا بعد إضافة عنصر (الوطن).

٢- نتائج تحليل مضمون كتب اللغة العربية في المرحلة الابتدائية وفقًا لمعالجتها لعناصر الهوية العربية والبُعد العربي:

بعد إعادة بناء استمارة تحليل المضمون لهذه الكتب في صورتها النهائية تم إجراء عملية التحليل لعدد (٧٥) خمسة وسبعين كتابًا، تمثل مجموع كتب القراءة والكتابة في المرحلة الابتدائية (١ – ٦) في دول الخليج العربية، ونتج عنها ما يأتي:

- أن كتب القراءة والكتابة والأناشيد قد شملت جميع العناصر المكونة للهوية العربية ولكن بدرجات متفاوتة، حيث تحتاج بعض العناصر إلى مزيدٍ من الاهتمام في التناول، فبينما يشير الجدول إلى أن المفاهيم المرتبطة بالوطن تحتل الرتبة الأولى بين العناصر المكونة للهوية والبُعد العربي التي تعرضت لها الكتب موضوع التحليل

حيث وردت في (١٤٤) موضوعًا في هذه الكتب بنسبة (٢٤,٢٠٪)، نجد أن الموضوعات المرتبطة بالإسلام مثلت ما نسبته (١٨,٩٩٪) في (١١٣) موضوعًا، في حين تأتي موضوعات اللغة العربية في مرتبة متوسطة (السادسة) وجاءت في (٣٧) موضوعًا وحازت على نسبة (٦,٢٢٪)، بينما تأتي الموضوعات ذات الصلة بمستقبل الأمة العربية وموضوعات التعاون العربي المشترك وموضوعات المؤسسات العربية في المراتب الأخيرة على التوالي (الثاني عشر، الثالث عشر، الرابع عشر)، وهذا يتطلب إعادة النظر في القيمة النسبية لكل عنصر من تلك العناصر لمعالجة ما يُعد نقصًا في تقديم كتب القراءة والكتابة بصفة خاصة، واللغة العربية بصفة عامة للعناصر المكونة للهوية العربية، والتي تحتل أهمية كبرى في تكوين البُعد العربي في نفوس الطلاب في هذه المرحلة المهمة من التعليم.

- تناولت كتب اللغة العربية موضوعات الهوية والبُعد العربي، وفقًا لما أظهره تحليل مضمون تلك الكتب من خلال مواقف متعددة تتناسب مع كل عنصر من عناصر الهوية، التي سبق استعراضها في الجدول رقم (١)، وقد أظهر التحليل أن المواقف التعليمية التي تناولتها هذه الكتب قد تنوعت في جميع دول الخليج العربية، وأنها قد اشتركت في العديد من تلك المواقف، وبخاصة ما يتعلق منها بالدين الإسلامي وبأعلام العرب والمسلمين وعلمائهم.
- اهتمام كتب اللغة العربية داخل كل دولة من دول المكتب بالتعريف بالوطن ومكتسباته وبلدانه بصورة واضحة.
- أن النصوص القرائية قد حازت على المرتبة الأولى في معالجة وتقديم موضوعات الهوية والبُعد العربي في الكتب التي تم تحليلها، وتلاها بعد ذلك الأسئلة، ثم الأناشيد والرسم والخارطة، كما أن هناك صورًا أخرى للمعالجة والتقديم لهذه الموضوعات، جاءت في الاستبانة تحت (أخرى) وتمثلت في (التدريب والخط والنشاط والتعبير واللعب التربوية والأمثال والقصص والمسرحية الشعرية).

وقد اقترحت الدراسة مجموعة من النصوص التي تعالج موضوعات الهوية العربية، وتنوعت بين اقتباسات من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والنصوص التراثية والنصوص الشعرية والنثرية واللعب التربوية، واستفادت الدراسة بعددٍ من النصوص المقررة في الكتب المقررة بالدول الأعضاء بالمكتب.

أهم توصيات الدراسة

- العمل الجاد لتحصين الهوية العربية، ودعم مقوماتها ومرتكزاتها، وترسيخ الانتماء إليها لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية باعتبار أن العروبة ليست مفهوما عرقيا عنصريا، بل هي هوية موحدة تلعب اللغة العربية فيها دور المعبر عنها، والحافظ لتراثها.
- إجراء مراجعة تقويمية لمناهج اللغة العربية وكتبها المقررة في بقية المراحل الدراسية للتأكد من مدى اهتمامها بالهوية العربية، ومضامين البعد العربي بها.
- توجيه معدي مناهج اللغة العربية للمرحلة الابتدائية لإيلاء الهوية العربية ومكوناتها عناية خاصة، في عملية بناء المناهج، بأهدافها، ومنطلقاتها، واختيار مفرداتها.
- توجيه مؤلفي الكتب الدراسية للغة العربية للمرحلة الابتدائية لأهمية تنويع صور التناول لموضوعات البعد العربي، مع العناية بالأناشيد والقصص، لمناسبتها لطبيعة تلاميذ هذه المرحلة.
- إعداد أدلة إرشادية لمعلمي اللغة العربية، وموجهي النشاط المدرسي، للاستفادة منها في تعزيز دور المدرسة بصفة عامة، ومناهج اللغة العربية بصفة خاصة في تعزيز الهوية العربية، وغرسها وتنميتها في نفوس التلاميذ.
- دراسة سبل توظيف التقنية المعاصرة في تعزيز الهوية العربية والعناية باللغة العربية في مدارس دول الخليج العربية.
- إيجاد آلية فاعلة للتنسيق بين وزارات التربية والتعليم ووزارات الإعلام والثقافة بدول الخليج العربية، لتبني برامج مشتركة وفاعلة للحفاظ على مكونات الهوية العربية، والعناية بها وعلى رأسها اللغة العربية.
- إعداد مواد إثرائية تتضمن نماذج بموضوعات من شأنها تعزيز مفهوم الهوية العربية في نفوس تلاميذ المرحلة الابتدائية.

أهم المراجع

- لسان العرب لابن منظور: [١٥/٣٧٥-٣٧٦]، دار صادر- بيروت.
- السيرة النبوية لابن هشام: [٢/٥٢]، دار الجيل- بيروت ط١- ١٤١١هـ.
- معجم العلوم الاجتماعية، علي عبد الواحد وافي وآخرون "نخبة من الأساتذة المصريين والعرب المتخصصين "، الشعبة القومية للتربية والعلوم والثقافة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٥.
- أ.د محمود كاظم محمود، حسن أحمد سهيل القره، نهاية جبر خلف، قسم الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٣.
- http://liberaldemocraticpartyofiraq.com/serendipity.
- بين الهوية والثقافة: ندوة الثقافة وقضايا الحياة العربية الراهنة، مهرجان القرين الثقافي السادس، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٩ — ٢٠٠٠م.
- عمر سليمان الأشقر نحو ثقافة إسلامية أصيلة، ٢٠١١، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان.
- المستقبل، العدد ٣٢٣٢، رأي وفكر، الصفحة ١٩ .
- الأنصاري، محمد جابر ١٩٨٤، جذور التربية اليابانية وخصائصها المميزة، مجلة العربي ١٦ ـ ١٧.
- دور اللغة القومية في حماية الهوية والتراث الثقافي لليابان نموذجًا، مسعود ضاهر، المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية، دبي، الإمارات، ٢٠١٥م، مجلد ١٢، ص١١٢.